مجلة الرائد

العدد : ٢٣٦ الموافق في ربيع الأول ١٤٢٣ هجري ٢٠٠٢/٥ ميلادي

عنوان المقال : هيمنة القوة وانهيار القيم	ترجمة : د. زهير الحلبي

مقدمة الناشر : [1]

« في منتصف شهر آذار/مارس الماضي وجه مجموعة من المثقفين الأمريكيين منهم فرانس يوكوهاما وصمويل هونتغتون وميتشل فالتزر رسالة مفتوحة لدعم الحرب العادلة التي تشنها أمريكا ضد الإرهاب .

أثارت هذه الرسالة أصداءً كبيرة في أوروبا .. ولكن أصداءها بقيت باهتة في أمريكا ، حتى خيل للمرء أن هذه الحرب قد أصبحت قضية أخلاقية مسلماً بها ..

والآن أصدرت مجموعة أخرى من المثقفين الأمريكيين منهم الكاتب غور فيرال والمؤرخ هوارد لستين والفيزيائي آلاف سوكال والأسقف الكاثوليكي توماس غوميلتون .. رسالة جوابية مفتوحة موقعة من ١٣٠ شخصية أمريكية موجهة إلى " أصدقائنا في أوروبا " ضد الحرب المضادة للإرهاب التي تشنها أمريكا » .

هيمنة القوة وانهيار القيم

أصيب العالم في هذه الأيام بخيبة أمل كبيرة وهو يرى حجم الخسائر المادية والمعنوية التي لحقت به ، ليس في الأرواح والممتلكات فقط ، وإنما أيضاً ما نجم عن ذلك من أحقاد وكراهية نتيجة لما تفعله الولايات المتحدة ، هذه القوة العظمى التي تتباهى بإمكاناتها العسكرية الكبيرة وتفوقها بقيمها وأخلاقها .

نحن كمواطنين أمريكيين نحمل مسؤولية كبرى في التصدي لهذه الحملة العسكرية الهستيرية .. وهي مسؤولية يحملها معنا أصدقاؤنا الأوربيون بشكل خاص .. لأن أكثر الدول الأوروبية هم شركاء الولايات المتحدة في الحلف الأطلسي .. وفوق ذلك لأن أمريكا تدعي أن هذه الحملة ليست فقط للدفاع

---

(١) Sueddeutsche Zeitung

عن نفسها وإنما أيضاً للدفاع عن مصالح حلفائها وأصدقائها .. وهكذا فإن كثيراً من الدول الأوروبية تجد نفسها منغمسة في هذه المغامرة العسكرية وأن مستقبلها مهدد أيضاً .

كثير من الأوروبيين الواعين من داخل وخارج الحكومات الأوروبية يعرفون حقيقة هذه المغامرة العسكرية لإدارة بوش ولكن قليل منهم يملكون الجرأة والشجاعة الكافية لأن يصرحوا بما يعتقدون ، وذلك خشية إجراءات انتقامية من أصدقائهم وحلفائهم الذين يطالبونهم بدعم غير محدود ، فضلاً عن أنهم يخشون من وصفهم بالمعاداة لأمريكا Antiamerikanismus ، هذا الوصف الشنيع الذي يطلق أيضاً من وسائل الإعلام الأمريكية على بعض الأمريكيين الرافضين لهذه الحرب .. علماً بأن النقد الواضح والصريح من الأصدقاء الأوروبيين لسياسة إدارة بوش هذه سيدعم ويقوي موقف هؤلاء الأمريكيين المعارضين للحرب .

إن المغالطة الكبيرة للقائمين على سياسة الحرب الأمريكية هي وضعهم القيم الأخلاقية التي يؤمن بها الأمريكيون أنفسهم في مصاف المصالح الاقتصادية والمطامح العسكرية لأمريكا في الخارج ..

الفخر والاعتزاز من المظاهر المعروفة للثقافة الأمريكية .. وهي صفات تلعب دوراً مهماً في دمج المهاجرين الجدد في المجتمع الأمريكي .. ولكن هذه الصفات قد تعاظمت إلى درجة كبيرة بعد الحادي عشر من سبتمبر إلى حدٍ أصبح الأمريكيون يتوهمون معه أن العالم أصبح ينظر إليهم بعين الحقد والحسد لما ينعمون به من رفاهية وحرية ، وما يتمتعون به من انفتاح وتسامح مع كل الأعراق والديانات ، وما يمثله ذلك كله من قيم ومفاهيم إنسانية.

انطلاقاً من هذه التصورات كان الجواب على السؤال الذي تردد بعد الحادي عشر من سبتمبر « لماذا يكرهنا الآخرون ؟ » « لأننا أمة عظيمة ولما نملكه من قيم عظيمة من الحرية والديمقراطية .. » لكن كثيراً من الأمريكيين لا يعرفون أن السياسة الخارجية الأمريكية لا تكترث بكل هذه القيم التي يفخر بها المجتمع الأمريكي ، بل العكس من ذلك فإن هذه السياسة تسعى لحرمان الإنسان في دول العالم الأخرى من أن ينعم بهذه القيم والمفاهيم ..

عنوان المقال : هيمنة القوة وانهيار القيم	ترجمة : د. زهير الحلبي

إن السياسة الأمريكية المهيمنة عملت على مدى السنوات الطويلة على تثبيت أذناب الاستعمار والديكتاتوريات المقيتة في دول آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية ، ونهب ثرواتها الاقتصادية والمالية ودعم القوى والحكومات العسكرية ، وكذلك إسقاط الحكومات المستقلة وتضييق الخناق عليها .. بل لا تتوانى هذه السياسة عن مهاجمة هذه الدول بالطائرات والقنابل لتدميرها وقتل أبنائها . إن الولايات المتحدة قد تعرضت للعدوان في الحادي عشر من سبتمبر ، ورداً على هذا العدوان فقد منحت الإدارة الأمريكية نفسها الحق في الرد على هذا العدوان ، وأعلنت الحرب على كل دولة تصفها بالعدوان دون أن تكلف نفسها أن تثبت الأدلة على المعتدي أو أن تسلك الطرق القانونية في ذلك .. هذا الحق في الدفاع عن النفس لم يكن قط للدول الأخرى مثل فيتنام ولاووس وكمبوديا وليبيا أو السودان عندما تعرضت للعدوان والقصف الأمريكي .

إن استخدام حق الدفاع عن النفس في حين يحرم الآخرون منه هو قانون القوة وشريعة الغاب ، ولا يتفق ذلك أبداً مع القيم الإنسانية العالمية ، ولا يخدم النظام العالمي الذي يقرر حق المساواة لجميع الدول والشعوب في الدفاع عن نفسها .

إن الولايات المتحدة قد شنت حرباً على أفغانستان تحت شعار " الدفاع عن النفس " ولم تكن هذه الحرب أبداً رداً على أحداث الحادي عشر من سبتمبر المروعة .. بل على العكس من ذلك تماماً فقد كانت هذه الحرب مخططاً لها مسبقاً ، حسب وثائق البنتاغون التي وضعت لإسقاط حكومات دول أخرى من خلال القصف الجوي واستخدام أراضي الدول المجاورة .. وأمريكا هي نفسها تخطط الآن لحرب جديدة ضد العراق الذي شنت ضده حرباً منذ عشر سنوات وذلك لإسقاط النظام الحاكم فيه وإقامة نظام جديد .

عنوان المقال : هيمنة القوة وانهيار القيم	ترجمة : د. زهير الحلبي

إن الدفاع عن النفس يكون عندما تتعرض البلاد للهجوم والعدوان .. وما جرى في الحادي عشر من سبتمبر إنما كان اعتداء على الولايات المتحدة .. لم تقم به دول محددة وإنما قامت به جهة مجهولة ضد أهداف محددة .. وطالما أنه لم تحمل أية جهة حتى الآن مسؤولية هذه الاعتداءات فإن المواقع التي تعرضت للهجوم قد تشير إلى الهدف منه .

إن مركز التجارة العالمية في نيويورك يرمز إلى الهيمنة الاقتصادية ، والبنتاغون يرمز إلى الهيمنة العسكرية الأمريكية .. وبناء على ذلك فإن يصعب القول أن اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر كانت موجهة للشعب الأمريكي ولقيمه الحضارية والإنسانية ، بل الأغلب أن هذه الاعتداءات كانت تهدف إلى النيل من الهيمنة العسكرية والاقتصادية الأمريكية في العالم .. وإنه حسب التقارير المعلنة فإن خمسة عشر من التسعة عشر الذين قاموا بهذه الاعتداءات هم من أصل سعودي حيث تجثم القوات الأمريكية في أراضيهم .

إن أحداث الحادي عشر من سبتمبر قد أظهرت حقيقة واضحة للعيان وهي : إن الدولة التي تهيمن وتسيطر على دول أخرى يمكن أن تلحق بها هجمات داخل أراضيها ، والسؤال الذي يطرح نفسه « ما هي حقيقة التدخل في دول العالم الأخرى ؟ » . إن إدارة الرئيس بوش تسعى لتوسيع وتعميق الهيمنة العسكرية والاقتصادية الأمريكية في دول العالم دون الاهتمام بالقيم والمبادئ الإنسانية الأمريكية مما يلحق أشد الضرر بهذه القيم والمبادئ .

إن الفارق المهم بين الحروب الاستعمارية القديمة وبين العولمة الأمريكية اليوم يظهر في القوة المدمرة الهائلة التي تملكها الولايات المتحدة مع الفرق الشاسع بين هذه القوة المدمرة وبين الحكمة والعقلانية التي تحكم وتدير هذه القوة .

عنوان المقال : هيمنة القوة وانهيار القيم	ترجمة : د. زهير الحلبي

إننا نحن المثقفين نقف أمام الخيار الصعب :

إما الوقوف إلى جانب الإدارة الحاكمة وما تملكه من إمكانات مدمرة هائلة ونبرر لها ما تقوم به.

أو نقف في وجه هذه الغطرسة ونكشف دورها الحقيقي ونتعاون مع كل القوى الإنسانية المحبة للسلام في صنع أسباب التفاهم والحوار وتحقيق العدالة للجميع .

إن الدفاع عن النفس هو مسؤولية جماعية .. والمجتمع الدولي له الحق في الدفاع عن نفسه في مواجهة هذه القوة المتغطرسة التي تحاول استغلال مفهوم الدفاع عن النفس والإساءة إليه ، فمنذ أكثر من نصف قرن تحاول أمريكا أن ترسم صورة جديدة للعالم ، حتى لو كان ذلك على حساب الأشلاء والضحايا .. وإننا في الدول الغنية والمتقدمة علينا أن ندافع عن القيم والمبادئ الإنسانية التي نحبها ونفخر بها ، وذلك بالتضامن مع ضحايا الغطرسة الأمريكية والهيمنة العسكرية ..

(★) نقلاً عن جريدة Sueddeutsche Zeitung العدد رقم ٨٣ الصادرة في ١٠ نيسان/أبريل ٢٠٠٢م ، وقد آثرنا ترجمة نص الرسالة دون تصرف أو تعليق حتى نترك للقارئ الكريم الإطلاع على بعض ما يفكر به الآخرون في الجانب الآخر من العالم .